

## الأصالة والمعاصرة - تجربة شخصية

المعماري : م/ جعفر طوقان



معهد إلينوى "من أعمال فان درو"

إلى مسابقة في الكويت وكان من شروطها أن يتميز التصميم بطراز عربي إسلامي. لقد كان في الكويت في ذلك الوقت بعض نماذج محددة من عمارة حاولت معالجة هذا الموضوع بأسلوب سطحي جداً إذ أنها صممت ضمن نظام بناء محدد جداً لم يسمح بالتصرف بحرية في الأحجام والنسب فجاءت عبارة عن مباني حديثة عادية كسيت واجهاتها بعناصر من الخرسانة السابقة الصب تعكس أشكالاً وزخارف مشتقة من العناصر العربية القديمة. وهكذا كان تصميمي للمشروع المذكور الذي فاز في المسابقة وتم تنفيذ المبنى .

حاولت في تلك الفترة أن أقرن بين الفن والعمارة الحديثة السائدة فلم أجد حقيقة أي مثال على انشغال معماريين في أي جزء آخر من هذا

مشكلة الذي يعشق للمرة الثانية كمشكلة المعماري في مدينة قديمة يحاول أن يبنى للمرة الثانية أماكن كانت معمورة بحيث تبدو المباني وكأنها من الماضي وكذلك من الحاضر. هذا هو الإحساس الذي يبدو أنه يسيطر على أذهاننا عندما نفكر في الأصالة المعمارية ونحن نعمل ضمن قديسة مدينة قديمة ، حى قديم أو بناء قديم . ونحن في هذا الجزء من العالم الفنى بترائه المعماري كثيراً ما نبنس مدناً وأحياء ومباني جديدة وغالباً خارج الحرم القديم غير أن هذا الصرح الشامخ من التراث الشعبى يظل يلقي بظلاله العميقة علينا .

ونويترا من جهة وفرائك لويد رايت من جهة أخرى وعلى الرغم من الفارق بين النظريتين إلا أنهم جميعاً اشتروكو في رفض المفاهيم الكلاسيكية التي كانت تعبر عنها النزعة النيوكلاسيكية السائدة في عصرهم وتبنوا في الحالة الأولى مفاهيم الوظيفة والاقتصاد والمنطق بينما ركز فرائك لويد رايت على الطبيعة والجغرافيا في تطوير عمارته العضوية الرائعة .

وفي جميع الأحوال فقد كان هناك رفض واضح لفكرة الأصالة والتقاليد حتى في أدب تلك الفترة سيطرت روح العالم الجديد في خصوصيته على مفاهيم الأصالة التي يمثلها العالم الجديد .

وفي عام ١٩٦٣ تعرضت للمرة الأولى لمسألة العمارة العربية الإسلامية ، إذ دعيت الشركة التي كنت أعمل فيها

الفكرية وأن أي محاولة قمت أو سأقوم بها لاستكشاف مفاهيم مختلفة لابد وأن تتأثر في صميمها بمبادئ هذه المدرسة . وبالنسبة لي لابد أن يتبع الشكل المعماري الوظيفة التي يخدمها . وأجد صعوبة كبيرة في تصميم ما لا أقدر على تفسيره لنفسى على الأقل من خلال هذا الإطار الفكرى وعندما كنا نحدث عن خصوصية المكان كنت دائماً أعتبرها خصائصه الجغرافية ومن خلال بساطة الشباب وضحالة التجربة الإنسانية خلال تلك الفترة الرائعة من العمر كانت الوظيفة والاقتصاد والجغرافية هي التي تتحكم في نظرتي للتصميم ، أما الجانب العاطفى فقد كان ذا بعد كوني بحث .

أما نظريات نجوم العمارة في هذه الحقبة أمثال جروبيوس وفان درو

وقبل الدخول في عرض التجربة لابد من التركيز على هذا الفرق الكبير بين البناء ضمن الأماكن القديمة وخارجها. ففي الحالة الأولى لابد من الاستمرارية المادية المباشرة أما في الثانية فتتطلب ربما استمرارية الروح أو الفكر .

وعندما أحاول تفسير نظرتي الشخصية لموضوع الأصالة والمعاصرة في العمارة لابد لي من أن أوجز العوامل التي رافقت وطورت تجربتي خلال ما يزيد عن ثلاثين سنة. فقد درست العمارة بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٠ في بيروت وفي تلك الفترة كانت تسيطر على الفكر المعماري مبادئ العمارة الحديثة والطراز العالمى وكان رئيس قسم العمارة عندها أحد تلاميذ والتر جروبيوس وكان متشعباً بمفاهيم الباو هاوس ولهذا فإننا خلاصة هذه المدرسة

العالم يمثل هذه المفاهيم بالرغم من عراقية تقاليدهم المعمارية .  
وفي الواقع ومن خلال الخمسة عشر سنة الأولى من ممارستي لم أعط أهمية كافية لدراسة التراث المعماري العربي والإسلامي . وكان إنشغالي هو تقوية قاعدتي التقنية وعلاقتي العامة . في هذه الفترة كنت أمارس العمل في لبنان وأعمل على مشاريع في أنحاء من العالم العربي وخاصة الجزيرة العربية . وساعد وجودي في لبنان الذي كان حلبة التقاء الكثير من التيارات والتأثيرات الفكرية العالمية على إنشغالي عن التركيز على خصائص العمارة التراثية .

وفي السنوات الثماني عشرة الأخيرة كنت أعمل من عمان للأردن وغيره من البلدان العربية . ويبدو أن هذا الوضع الجديد كان أكثر مناسبة للتأمل في الذات ومعالجة السؤال المعقد . ما هذا الذي نفعل وما هذا الذي يفعله الآخرون وإلى أين هذه



فيلا تبيل الصراف من أعمال جعفر طوقان

المتميّزة ببناءها المميز لنا .

لذلك وبكل بساطة فإنني لا أستطيع أن أتصور ولادة المدينة العربية القديمة من جديد بأزقتها وبواباتها المقوسة وقبابها وتفصيلها ذات الزخارف المتنوعة . لأن هذه المدن كانت وليدة معطيات اجتماعية اقتصادية ، دفاعية تقنية تميز تلك الحقبة . هذه المعطيات لا بد وأن تكون مختلفة اختلافاً كبيراً في هذه الأيام عنها في تلك التي نحياها .

إن أعمال حسن فتحي والتي يحاول عبد الواحد الوكيل الاستمرار في نفس اتجاهها وعلى سبيل المثال ، ومن دون أن أقلل من قيمة التمييز الفني والتقني فيها فإنها تظل في نطاق النبع الرومانسي أو كالمحافظة على الحرف الشعبية غير أنها وبالتأكيد لا تستطيع أن تلبى الحاجات المعاصرة .

غير أن الطراز العالمي لم يستطع هو بدوره تلبية هذه الحاجات بالكامل وفي ذروة ازدهار الفكر العالمي في العمارة شعرت بأنه حتى المعماريين لا يدركون تماماً التقاليد البالغة التجريد في أعمال المعماريين في أوروبا وأمريكا واليابان .

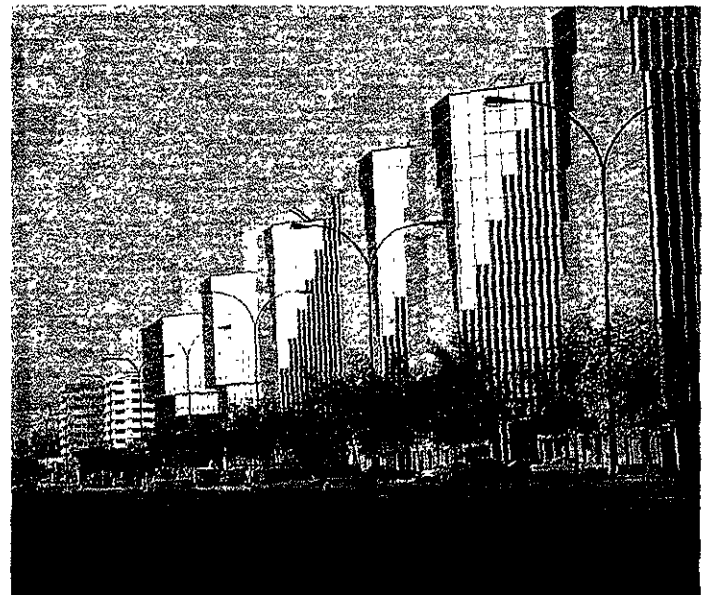
ويسبب الإيقاع الهائل السرعة للنشاط الإنشائي في الخليج لم تكن

هناك فرصة لدراسة رد فعل المستخدم للعمل المعماري . غير أن المحاولات التي قامت بها سلطات تلك المنطقة لإبراز طابع معماري معاصر وأصيل في نفس الوقت كانت سطحية وحوالت الأصالة إلى قشرة خفيفة تغلف أي بناء تقتبس وبصورة سيئة بعض المفردات القديمة وتلصقها على الهياكل الحديثة ، كالأقواس من جميع الأشكال والأحجام .

أما في مسقط والسعودية ودبي فقد ظهرت دلالات أوضح على وعي أعمق للتراث وتأثيره على العمارة المعاصرة .

في الأردن اتاحت لي فرصة أوسع لتحسس ردود فعل المنتفعين من المشاريع وكذلك كانت هناك مناسبات عدة للنقاش والحوار حول العمارة والتخطيط الحضري وعن أعماله وأعمال غيري من المعماريين هنا في الأردن .

ولأن المناخ والجغرافيا في الأردن هي الثوابت في العمارة الأردنية والتفاعل مع هذه الثوابت واضح في عمارة المدن القديمة والقرى . وفي نظري أن هذا التفاعل العفوي هو دليل حساس لتوجهات العمارة المعاصرة في الأردن . بينما عمان كمدينة جديدة نسبياً طورت نمطاً معمارياً يختلف عن مدن الأردن القديمة كاسلط والكرك ، وذلك لأن أنظمة البناء التي طبقها الانتداب البريطاني على الأقسام الجديدة من مدن فلسطين وبارتداداتها التي حددها قطع النسيج المتواصل للمدينة التقليدية القديمة وقد قلل هذا القطع



أحد النماذج للعمارة البخيلة على العمارة العربية التراثية

## عالم البناء

الاستمرارية تتم من خلال تطوير حسي جمالي يتعاطف مع المنتفع ولا يصدمه . التناسق والأشكال المألوفة والمقياس الإنساني كلها عناصر يجب استثمارها إلى أقصى حد للوصول إلى هذا الهدف .

فهم المواد والتقنيات يساعد على الاستفادة من اللمس وخصائصه في عكس الضوء الذي هو من أهم مميزات العمارة التراثية .

وتحت ظروف نظام البناء الحالي والارتدادات تصبح الأسوار عناصر هامة في ربط النسيج المعماري للمدينة .

والخلق والتجديد في استعمال العناصر التراثية ( ودون السقوط في التقليد الأعمى) وذلك من خلال وعي حقيقي للمواد والتقنيات والوعي الحساس لعواطف المستفيدين هي الطريق الأمثل لضمان الاستمرارية المعمارية .

المحافظة على التراث يجب ألا تكون بالجمود ، بل باستمرار العملية الخلاقة التي تبني على خبرات الماضي عمارة جديدة تنتمي إلى اليوم والغد . إنها مستقبل الماضي .

وستتناول المجلة على الصفحات التالية مجموعة من المشروعات المتميزة والتي قام بتصميمها المعماري جعفر طوقان .

من ضرورة اهتمام المعماري بالنسيج المعماري السائد وكان هناك اهتمام زائد بالتعبير عن فردية البناء مما أدى إلى خليط غريب من الأنماط والطرز ، ومما زاد في تنافس هذا الخليط هو دخول المعماريين الذين تلقوا علومهم في أماكن مختلفة من العالم وكل يحاول استعراض عضلاته .

الحجر هو العنصر الوحيد الرابط بين الأنماط المختلفة في عمارة عمان والأردن بشكل عام وقد استعمله الحرفيون في فترة ما قبل المعماريين بحساسية وصدق . الفتحات والبروزات صممت بمنطق لإدخال الضوء والهواء وإلقاء الظلال وإضافة مسحة جمالية أنيقة على الواجهات . نسبة الفراغ إلى المصمت والتناسق والتوازن تميزت بقطريتها ومنطقها الطبيعيين .

ومن خلال ردود فعل المنتفعين بدأ يتكون عندي إحساس باتجاه أشد يتضح تدريجياً على مرور الزمن .

الاستمرارية هي أساس النمو والتطور المعماري ، الاستمرارية لا يمكن أن تتم من خلال اجترار التراث بل من خلال التخزين المتراكم للخبرات والمشاهدات والتجارب وعكسها على المعطيات المعاصرة والحاجات والوظائف لهذا العصر .

### شخصية العدد



المعماري : جعفر طوقان

سنة ١٩٦٠ : تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت بدرجة بكالوريوس في الهندسة المعمارية .

سنة ١٩٦٠-١٩٦٦ : عمل كمهندس معماري في قسم الأبنية بوزارة الأشغال العامة الأردنية .

سنة ١٩٦٦-١٩٦٨ : عمل كمهندس معماري في دار الهندسة للتصميم والاستشارات الفنية في مكتبها الرئيسي في بيروت . وقد شمل عمله التصميم والإشراف على تنفيذ العديد من المشاريع الهامة حيث وزعت هذه المشاريع في أنحاء من العالم العربي منها الكويت والسعودية والأردن ولبنان .

سنة ١٩٦٨-١٩٧٣ : افتتح مكتباً خاصاً في بيروت لممارسة الهندسة المعمارية وشمل عمله في تلك الفترة العديد من المباني السكنية والتجارية في لبنان والكويت والإمارات العربية المتحدة .

سنة ١٩٧٣-١٩٧٦ : أسس شركة ريس وطوقان/مهندسون معماريون ومركزها الرئيسي في بيروت وأسس لها فروعاً في كل من أبوظبي ودبي في دولة الإمارات العربية المتحدة وقامت هذه الشركة بالعديد من المشاريع كالمباني الحكومية والمدارس ورياض الأطفال والبنادق والمصانع . بقيام الحرب اللبنانية صغيت الشركة .

سنة ١٩٧٦ : انتقل إلى عمان حيث أسس شركة جعفر طوقان وشركاه/مهندسون استشاريون التي انتقل إليها جهاز ريس وطوقان ومكاتبها في الخليج ، وتوسع نطاق نشاط هذه الشركة لتشمل آفاقاً قنية أوسع . وخلال هذه الفترة اتسع مجال هذه الشركة ليشمل تصميم المستشفيات والعديد من المشاريع ذات الاختصاص وتعاونت مع العديد من الشركات العالمية في مجال التصميم والإشراف ومن أبرز إنجازات الشركة تصميم مشروع جامعة العلوم والتكنولوجيا في أربد - الأردن وبالتعاون مع شركة عالمية

العضويات المهنية : - نقابة المهندسين الأردنيين - نقابة المهندسين والمعماريين

في لبنان - جمعية المهندسين الكويتية "عضو منتسب" .

النشاطات الأخرى : رئيس جمعية الأردن للتنمية (بنى حميدة) عمان/عضو الهيئة الإدارية للمتحف الوطني للفنون الجميلة - عمان/عضو لجنة الأبنية الحديثة والتراث المعماري/ أستاذ زائر في قسم العمارة - الجامعة الأردنية/ عضو الهيئة الإدارية لقرى الأطفال SOS الأردنية / عضو مجلس أمناء مؤسسة نور الحسين / عضو مجلس أمانة عمان الكبرى / عضو الجمعية الأردنية البريطانية / شارك في العديد من الندوات العالمية والمحلية المتعلقة بالفن والعمارة / شارك في الدراسات التي تنظمها جمعية الأغاخان للعمارة الإسلامية في جامعة MIT .

الجوائز : حائز على جائزة المشروع المعماري على تصميمه لقرية أطفال SOS عمان عام ١٩٩٣ / شهادة تقدير عام ١٩٩٠ من جلالة الملكة نور الحسين للجهود المبذولة في إنشاء المتحف الأردني الوطني للفنون الجميلة وتطويره وصيانته / جائزة منظمة المدن العربية للمهندس المعماري عام ١٩٩٢ / جائزة World Habitat Award على مشروع قرية أطفال SOS العقبة عام ١٩٩٣ / شهادة أفضل مبنى من نقابة المهندسين الأردنية عن مبنى شركة العرب للتأمين عام ١٩٩٣ / شهادة تقدير من نقابة المهندسين لأفضل عرض لمشروع معماري عام ١٩٩٣ / جائزة المدينة المنورة ، الملكة العربية السعودية للعمارة لعام ١٩٩٧ .